اخفاق كيّ الوعي القومي العربي

عبد السلام حجاب

إن القلاع عادة تؤخذ من الداخل، لكن الحرب الإرهابية التي تعرضت لها سورية منذ نحو سبع سنوات، جاءتها من الخارج محملة بأدوات متعددة الفعل وقنوعة ومتنوعة التأثير، فكانت تأثيراتها ثقافية وإيديولوجية وسياسية، استهدفت تجزئة وتقسيم سورية بداية، والوطن العربي لاحقاً.

في مواجهة هذا الهجوم الثقافي الهادف إلى كي الوعي القومي العربي، انعقد يوم ١٤ أيار الجاري، المؤتمر القومي الرابع عشر لحزب البعث العربي الاشتراكي، وفي أثناء استقبال الرئيس بشار الأسد لوفد من القيادات القطرية العربية المشاركة في المؤتمر الرابع عشر، تناول الحديث النتائج التي تمخضت عن هذا المؤتمر وخصوصاً تشكيل مجلس قومي يتكون من جميع مندوبي التنظيمات في الأقطار العربية.

وأكد الرئيس الأسد أن تشكيل مجلس قومي، إنما يعكس ديناميكية فكر البعث، الذي كان ولا يزال قادراً على التكيف حسب الظروف المحيطة به من دون التخلي عن مبادئه، معتبراً أن هذا التحول الجذري بالصيغة التنظيمية الجديدة عبر هذا المجلس، يعكس قدرة البعث على تلبية متغيرات العصر وبالوقت نفسه، يكرس أهمية الفكر القومي ودور البعث في صد الهجمة التي استهدفت الشعور القومي العربي في محاولة لتقسيم الشعوب العربية حسب الانتماءات الطائفية والعرقية.

وشدد الرئيس الأسد على أهمية المشاركة الواسعة من قيادات وقواعد الحزب الشابة في خصوصية كل قطر، وأن يخاطب بلغة عصرية تتناسب مع التحديات التي تواجهها في المرحلة الراهنة.

بدورهم أكد أعضاء الوفد أهمية التجديد في الصيغة التنظيمية للنهوض بالعمل القومي وتعزيز حيوية الحزب بما يمكنه من الاستمرار في ممارسة دوره على الساحة العربية القومية مؤكدين أن الانتقال من الحالة المركزية إلى الإدارة التشاركية هو خطوة مهمة للنهوض بالعمل القومي وتعزيز حيوية الحزب.

من دون شك فإن المواطن العربي يستعيد في ذاكرته، محاولة الغزو الأميركي للعراق وما فعله الاحتلال عبر الجنرال الأميركي بول بريمر الذي أقدم على خطوة اجتثاث البعث، الأمر الذي يؤكد مرة جديدة، استهداف الفكر القومي العربي، وهذه المرة في سورية، عبر الحرب الإرهابية التي شنت عليها مع ما أعد لسورية والعراق والمنطقة، من مخططات على ظهر ما سمي الربيع الدامي، وكان معادله الموضوعي الإرهاب بأشكاله المختلفة التكفيرية والثقافية والإيديولوجية والسياسية وخصوصا مع ما أعد له من رعاية ودعم وتغذية مالية وعسكرية شاركت فيها أكثر من مئة وثمانين دولة ومنظمة وجمعية ومجموعات مرتزقة خارجية وداخلية.

إن خطوة انعقاد المؤتمر القومي الرابع عشر قطعت الطريق أمام أية محاولات يمكن أن تنفذ منها بقايا الإرهاب الأسود للنيل من وحدة الأمة العربية وبنيتها الثقافية القومية ورؤيتها الاستراتيجية في الحفاظ على وحدة الوطن العربي وتحصينه من التقسيم أو التجزئة أو الأفكار الشاذة المريضة.

وإذا كان المواطن العراقي والعربي يتذكر من أفعال بريمر بوضعها قيد التداول حتى الآن كشواهد حية على أخطارها التدميرية للفكر القومي العربي، فقد لا تكون الأخبار المتداولة في الشارع العراقي، مبالغاً فيها بأن بريمر لم ينقل بطائرته الأميركية الحربية سوى حقائب من الدولارات الأميركية، إلا أنها تكشف طبيعة النظرة الأميركية لأهدافه المرسومة والرؤية الصهيوأميركية لمنطقتنا العربية.

ويمكن القول: إن محاولات كي الوعي القومي العربي لم تتوقف يوماً منذ ثورة الثامن من آذار ١٩٦٣ التي قادها حزب البعث العربي الاشتراكي، باعتبار أن فكر البعث كان دائماً يشكل الحاضن القومي لرؤية أجيال الأمة العربية في بناء مستقبل متحرر من كل أشكال الهيمنة والاستعمار القديم والحديث، ما مثل عائقاً موضوعياً أمام الأخطار والمحاولات التي كانت ولا زالت تسعى إلى تفتيت الوطن العربي إلى كيانات ودول طائفية عاجزة وضعيفة أمام الكيان الإسرائيلي وتطلع مشاريع هذا الكيان في التوسع وفق الاستراتيجية الأميركية والصهيونية والانتقال به من دولة كبرى إلى دولة عظمى في المنطقة على حساب الشعوب العربية وحقوقها بالاستقلال والسيادة وبناء أوطانها.

وتشير الدلائل التي عبرت عنها الصيغ التي جرى تداولها داخل المؤتمر، أنها ستؤدي إلى الانتقال بالنضال القومي إلى مستوى أعلى وخاصة أن الوطن العربي عامة وسورية خاصة، تشهد معركة مصيرية ستنتصر فيها العروبة حتماً.

ولعل سورية من خلال الانتصارات التي تحققها في مواجهة الإرهاب والمخططات التي تبنى على كتف هذا الإرهاب الأسود، تمكنت عبر جيشها وشعبها بقيادة الرئيس الأسد أن ترسم ملامح انتصار الأمة العربية وشعوبها وقدرة الفكر القومي العربي القادر على التجدد واختزان إرادة النضال الوطني والقومي.

إن المؤتمر القومي الرابع عشر الذي عقد في دمشق، لا يعكس فقط قدرة البعث في مواجهة محاولات كي الوعي القومي التي يتعرض لها، بل إنه امتلك من القدرة والحيوية والديناميكية السياسية والفكرية، ما جعله باستمرار بقيادة الرئيس الأسد، قادراً على التغيير والتطوير وفق معطيات المراحل المتوالية، وشكل أرضية فكرية لتعزيز الرؤى القومية لحزب البعث في مواجهة التحديات الراهنة والمتغيرات المستقبلية التي يمكن أن تواجه المنطقة العربية عامة وسورية خاصة.

وُبخت من داعميها وحُذرت من عواقب تصرفاتها

«العليا للمفاوضات» أمام «انفجار داخلي»

الوطن- وكالات

تقف «الهيئة العليا للمفاوضات» المنبثقة عن مؤتمر الرياض للمعارضة أمام مفترق خطير بعد الخلافات التي ظهرت للعلن في اليومين الأخيرين من جولة «جنيف ٦» للمحادثات السورية السورية، في وقت تعرضت فيه لتوبيخات «قاسية جداً» من الدول الداعمة لها، وسط تحذيرات من عواقب تصرفاتها تجاه مسار محادثات جنيف وكذلك تجاه الوفد التفاوضي.

وأكد مصدر في المعارضة في جنيف، وفق ما نقل موقع قناة «روسيا اليوم» الإلكتروني، أن «الخطر الرئيسي يكمن أساساً في تعليق ثمانية فصائل من (ميليشيا) الجيش الحر مشاركتهم في اجتماعات وفد الهيئة العليا مع المبعوث الخاص لسوري ستيفان دي ميستورا، والعودة عن هذا القرار بعد ضغوط دولية ومن داخل الوفد للقبول بتمرير اليوم الأخير المتبقي من المحادثات والتفرغ لحل المشاكل بعد نهاية الجولة».

وأضاف: إن «الهيئة أمام انفجار داخلي ولعدة أسباب، أهمها عدم قبول الداخل الثوري للمعارضة بآلية عمل الهيئة وخاصة لاتخاذها قرارات فردية من دون الرجوع إلى مكونات الثورة أو التشاور معها».

وأوضح المصدر أن «أصواتاً داخل الهيئة طالبت بتغيير بعض الشخصيات والفصائل غير الفاعلة والتي لم يعد لها وجود على الأرض، وزيادة حصة الجبهة الجنوبية من التمثيل، إضافة إلى ملء مقاعد من قاطعوا اجتماعات الهيئة، مثل أحمد الجربا ومعاذ الخطيب ولؤي حسين بشخصيات أخرى أكثر حضوراً وفعالية». وقبيل ختام جولة المحادثات السادسة في ١٩ أيار الجاري، أكدت مصادر مختلفة أن الاجتماع الأخير لـ«الهيئة العليا» مع سفراء مجموعة من الدول الداعمة لهم كان «قاسياً جداً»، وأكد المصدر المعارض أن «السفيرين البريطاني والفرنسي اللذين حضرا الاجتماع كانا الأكثر قسوة على أعضاء الهيئة، وحذراهم من عواقب تصرفاتهم تجاه مسار محادثات جنيف وكذلك تجاه الوفد التفاوضي».

وفي سياق متصل، أوضح المصدر نفسه أن «التحضيرات تتواصل لعقد اجتماع للأعضاء المستقلين في الهيئة العليا للمفاوضات»، وهم مجموعة من ٥٢ عضواً شكلت نصف تعداد من حضروا مؤتمر الرياض.

وفي ظل هذه الخلافات التي تعتري «العليا للمفاوضات»، ذكر عضو وفدها إلى جنيف فؤاد عليكو، وفق ما نقلت جريدة «زمان الوصل» الإلكترونية المعارضة، أنه «لم يتحقق أي تقدم جوهري في الجولة السادسة من المشاورات في جنيف، باستثناء قبول اللجان التقنية أو ما يسمى بالآلية التشاورية التي طرحها دي ميستورا على مستوى الفريق التقني».

وأشار إلى أن المشاورات من خلال الوفد التقني ستكون كما هي المشاورات الآن، إذ يكون دي ميستورا وسيطاً، معتبراً أن هذا يعتبر «اختراقاً جزئياً في هذه الجولة، وقد أكدنا تجاوبنا للمبعوث الأممي حتى لا نذهب إلى أستانا التي تنعدم فيه الضمانات في ظل الهيمنة الروسية والإيرانية».

من جانبه، ذكر المتحدث باسم «هيئة التنسيق الوطنية- حركة التغيير الديمقراطي» منذر خدام على صفحته في موقع التواصل الاجتماعي «فيس بوك» أن «عراكاً كان قد نشب بين أعضاء وفد الرياض بسبب خلافاتهم حول عملية التفاوض ومنها تشكيل اللجنة الاستشارية حسمها تدخل واحد وعشرين سفيرا لدى منصة الرياض التي صار واضحاً مدى تحكم السعودية بأدائها الانتخابي».

وأشار إلى أنه، و«على خلاف ما أعلنه المشاركون في مفاوضات جنيف فإن اللجنة الاستشارية للبحث في المسائل الدستورية والقانونية التي اقترحها دي ميستورا تم تشكيلها وهي تتابع عملها في إحدى المدن السويسرية بعيداً عن الأضواء».

وكشف خدام أنه «تفيد مصادر معلومات بأن قادة الجيش الأردني اعترضوا وبحضور الملك على أي تدخل عسكري أردني في سورية كما كانت تخطط وتدفع بهذا الاتجاه أميركا وبريطانيا وبعض دول الخليج....».

ستيفان دي ميستورا ملتقياً وفد معارضة الرياض خلال المحادثات السورية السورية في «جنيف٦» (رويترز – أرشيف)

أكثر من ٤٠٠ شهيد مدني خلال ١٥ يوماً بمجازر «التحالف الدولي» وداعش

الوطن

لا تزال آلة القتل المتمثلة بـ«التحالف الدولي» بقيادة واشنطن وتنظيم داعش الإرهابي تزهق أرواح السوريين وتريق دماءهم يوماً بعد الآخر، في ظل صمت دولي وتزييف للحقائق، حيث راح ضحيتها خلال ١٥ يوماً فقط، ٤٠٩ مواطنين سوريين مدنيين في عدد من قرى وبلدات وأحياء المدن في المحافظات السورية المختلفة، أكثر من نصفهم قتلوا في غارات للتحالف، وبينهم أطفال ونساء.

ويدعي المشاركون في التحالف الدولي الذي بدأ عملياته في سورية في أواخر عام ٢٠١٤ أن تحالفهم شكل بهدف محاربة تنظيم داعش، إلا أن الحقيقة هي أن ضحاياه في أغلبيتهم مدنيون في حين أن مقاتلي التنظيم يعيثون فسادا في الأرض.

وبحسب «المرصد السوري لحقوق الإنسان» المعارض فقد استشهد ٤٠٩ مواطنين مدنيين سوريين بينهم ٥٩ طفلاً و٥٢ مواطنة، ومن بين المجموع العام يوجد ٧٢ شخصاً بينهم ٢٠ طفلاً و١٣ مواطنة استشهدوا في ضربات جوية للطائرات الحربية التابعة للتحالف على حيي الحميدية والعرضي بمدينة دير الزور ريف مسكنة في أقصى ريف حلب الشرقي وقرية دبسي عفنان بريف الرقة وريف حماة الشرقي، و١٣١ شخصاً بينهم ٢٥ طفلاً دون سن الثامنة عشرة و٢٨ مواطنة استشهدوا في قصف لطائرات التحالف على ريفي الرقة ودير الزور، و٣٤ مواطناً بينهم ٧ أطفال و٣ مواطنات استشهدوا في قصف لتنظيم داعش على مناطق في أحياء القصور وهرابش والجورة في مدينة دير الزور، و١٩ مواطناً بينهم طفلان و٤ مواطنات أعدموا على يد تنظيم داعش في ريفي الرقة ودير الزور، و١٩ مواطناً بينهم طفلان ومواطنتان قتلهما التنظيم في هجومه على قرية جزرة البوشمس بريف دير الزور، و٢٩ مواطناً بينهم ٥ أطفال و٤ مواطنات و٤ من البدو استشهدوا على يد التنظيم في قريتي عقارب الصافية والمبعوجة بريف مدينة سلمية.

كما وثق المرصد مقتل ١٦٥ عنصراً من تنظيم داعش جراء إصابتهم في قصف واشتباكات مع قوات الجيش العربي السوري والقوى الرديفة لها في عدة مناطق خارجة عن المناطق التي شملتها مذكرة «مناطق تخفيف التصعيد».

كما وثق المرصد استشهاد ١٠٥ مواطنين بينهم ٣١ طفلاً دون سن الثامنة عشرة و٢٣ مواطنة، في مناطق سيطرة تنظيم داعش بسبب ضربات للتحالف الدولي وإعدامات على يد التنظيم وسقوط قذائف من قبل التنظيم.

وفي تفاصيل مجزرة قرية جزرة البوشمس، نقل المرصد من عدد من «المصادر الموثوقة»، أن داعش، نفذ عملية تسلل وإعدام جماعي وحرق واختطاف في قرية تسيطر عليها «قوات سورية الديمقراطية- قسد» بالريف الشمالي الغربي لدير الزور.

وأوضح، أن عناصر من تنظيم داعش تسللوا عند ظهر الجمعة الماضي، إلى قرية جزرة البوشمس الواقعة في ريف دير الزور الشمالي الغربي، قرب الحدود الإدارية مع الريف الشرقي للرقة، وقاموا بقتل ١٩ مدنياً بينهم طفلان ومواطنتان، حيث جرى تجميع بعضهم في مكان واحد وإطلاق النار على رؤوسهم، وإضرام النيران بعدد من الجثث.

ووفق المرصد، فإن عناصر التنظيم المتسللين إلى القرية، عمدوا إلى اختطاف ٣ مقاتلين من مجلس دير الزور العسكري التابع لقوات عملية «غضب الفرات»، ولا يزال مصيرهم مجهولاً إلى الآن، ويخشى أن يقوم التنظيم بإعدامهم في وقت لاحق، كما قام التنظيم بسرقة جرارات زراعية وأغنام وماشية.

عملية التسلل والقتل الجماعي للمدنيين واختطاف المقاتلين وسرقة ممتلكات مواطنين، عقبها اشتباكات عنيفة دارت بين عناصر التنظيم من جانب، ومقاتلين من «قسد» من جانب آخر، نجم عنها مقتل ٨ على الأقل من عناصر التنظيم، ومعلومات عن خسائر بشرية في صفوف مقاتلي «قسد».

أردوغان يعود إلى حزبه: ازدياد مخاطر تبنيه سياسة عدوانية في المنطقة

الوطن - وكالات

فتح الرئيس التركي رجب طيب أردوغان أمس عهداً جديداً من عهود عبادة الشخص في تركيا. وخلال المؤتمر الاستثنائي لحزب العدالة والتنمية الذي قرر انتخابه رئيساً لحزبه، أسبغ عليه رئيس وزرائه علي يلدريم لقب «المؤسس الأول للحزب». ويعول أردوغان على السلطة التي اكتسبها من الدستور الجديد وعودته رئيساً للعدالة والتنمية من أجل الانطلاق في سياسة خارجية أكثر عدوانية.

وسيجد الرئيس التركي في شمالي سورية والعراق، مسرحاً لتنفيذ خططه لتوسيع دور بلاده في المنطقة، وزيادة نفوذها الإقليمي، كي لا يتم تقرير شيء في المنطقة دون الرجوع إلى أنقرة. ويزيد من مرونة السياسة التركية في المنطقة أن العلاقات الأميركية الروسية تمر بمرحلة من الغموض وعدم اليقين تمنع إطلاق التعاون بين البلدين، فضلاً عن تصاعد العداء الأميركي لإيران وحلفائها في المنطقة.

وفشلت القمة الأميركية التركية مؤخراً، في تقريب وجهات النظر بين واشنطن وأنقرة حيال التعاون الأميركي مع «وحدات حماية الشعب» الكردية. ورداً على ذلك أعلنت تركيا أنها ليست طرفاً في المعركة القائمة من أجل الرقة. وفي غضون ذلك، لوحت أنقرة بتعزيز الحشود العسكرية التركية على الحدود السورية التركية، مع تسرب تقارير عن تدريب الجيش التركي مزيداً من ميليشيات المسلحين السوريين في شمال سورية. وهكذا تهدد أنقرة واشنطن بتكرار عملية «درع الفرات» هذه المرة في اتجاه مناطق منبج أو تل أبيض أو تل رفعت السورية أو سنجار العراقية. وضمنت الولايات المتحدة لقوات حماية الشعب مناطق سيطرتها السورية، في حين أعلنت أنها ستعمل سواء عبر الطرق السياسية أو العسكرية، على طرد مسلحي حزب العمال الكردستاني من منطقة سنجار العراقية بعد انتهاء عملية الموصل.

وبالرغم من التوتر التركي الأميركي إلا أن أنقرة باتت في موقع المساومة مع واشنطن، إذ تشكل خطط الرئيس الأميركي دونالد ترامب لإشراك حلف شمال الأطلسي في التحالف الدولي ضد تنظيم داعش الإرهابي الذي تقوده واشنطن، مدخلاً لتركيا من أجل ابتزاز الولايات المتحدة على مصالحها المختلفة في سورية والعراق وبالأخص العلاقة مع «وحدات حماية الشعب». وقرارات الحلف جماعية، لذلك تغدو الموافقة التركية على مشروع ترامب شديدة الأهمية بالنسبة لواشنطن، خصوصاً في ضوء المعارضة الفرنسية الألمانية المشتركة.

وأطلقت الدبلوماسية التركية المساومة عبر المطالبة بعزل روبرت ماكغورك من منصبه مبعوثاً للرئيس الأميركي إلى التحالف الدولي، ملوحة بالرد على أي هجوم تشنه حماية الشعب الكردية على أراضيها.

وفي كلمته أمام المؤتمر الاستثنائي، توعد أردوغان بإطلاق حملة «حاسمة» للقضاء على الإرهاب في مختلف المناطق التركية، وبالأخص الشرقية منها. وهدد حزب العمال الكردستاني «بي. كي. كي» وداعميه، بمزيد من الضربات الموجعة، مشيراً إلى أن الحزب الذي تحظره تركيا، أخفقت في تحقيق أهدافه في الداخل التركي، متهماً إياه بالعمل على تحقيق تلك الأهداف في دول الجوار.

وعاد أردوغان إلى قيادة حزب العدالة والتنمية الذي أسسه عام ٢٠٠١، بعد أن قطع صلته به عقب توليه منصب رئاسة الجمهورية في العاشر من آب عام ٢٠١٤.

وكانت القوانين والدساتير التركية، تفرض على رئيس الجمهورية قطع صلته بالحزب السياسي الذي كان ينتمي إليه قبل وصوله إلى منصب الرئاسة. إلا أن التعديلات الدستورية التي جرى الاستفتاء عليها في ١٦ نيسان الماضي، سمحت لرئيس الجمهورية بالانتساب إلى حزب سياسي.

وبدوره، وصف يلدريم، الذي أعاد رئاسة الحزب إلى أردوغان، المؤتمر الاستثنائي للعدالة والتنمية بـ«عيد استقبال المؤسس الأول للحزب». واعتبر أن «نضال تركيا لم ينته في المنطقة»، معلناً أنه لا يمكن الوصول لتفاهم أو وضع سياسات حول المنطقة بمعزل عن تركيا، مبيناً أن كل من يدعم الإرهاب خسارته محتومة.

وأشار إلى الولايات المتحدة من دون أن يسميها، فقال يلدرم: إن على الدول أن تعرف أنه لا يمكن محاربة تنظيمات إرهابية بالتعاون مع تنظيمات إرهابية أخرى، لافتاً إلى أن العالم بات يعرف أن تنظيم حزب العمال الكردستاني «بي كي كي» وحزب الاتحاد الديمقراطي، ووحدات حماية الشعب الكردية لا فرق بينها، مضيفاً: «ننتظر من الدول التي نعتبرها صديقة لنا، رؤية هذه الحقيقة».

تكبيرات في قصر السلطان!

عبد المعين زريق

الرئيس التركي رجب طيب أردوغان يلقي خطاباً خلال المؤتمر الاستثنائي لحزب العدالة والتنمية الحاكم في أنقرة، تركيا (رويترز)

كعادة الرئيس التركي رجب طيب أردوغان التي لا يغيرها، والتي ستكلفه رأسه ذات يوم؛ يشحن جمهوره ويخاطب غرائزهم ويحشدهم تحت شعار معاداة إيران وتشييع المنطقة ومحاربة روسيا وأميركا وإسرائيل، والهدف الحقيقي؛ شد عصب الإخونج والإسلاميين الحزبيين والمتعصبين الأتراك من مناصريه، بقصد تمرير استفتاء الحكم الرئاسي، وهو ما حصل فعلاً، وبقصد إبقاء كتلته الناخبة مستقطبة للاستحقاقات القادمة وللمخاطر الكبرى التي تتهدد تركيا مستقبلاً.

واقع أردوغان مع إيران كحاله مع روسيا، لا يستطيع معاداتهما لأسباب كثيرة: الاقتصاد أولها، والخوف ثانيها، وبين الخطاب الأردوغاني العدائي لإيران وروسيا الموجه لغرائز مناصريه، وواقع عجزه عن مقاطعة إيران وروسيا واضطراره للمساكنة في فراشهما، سيقطف المنتظرون الحل السحري، وقد يدفع أردوغان رأسه ثمناً في المنطقة على أيدي المتطرفين من أنصاره، ليستكمل تداعي الفوضى الخلاقة في الجارة تركيا! كل ما نرصده من تغيرات في السلوك السياسي للدولة التركية ممثلة بحكومة حزب العدالة والتنمية ورئيسها أردوغان، يأتي في سياقات اضطرارية وإجبارية بعد حدوث محاولة الانقلاب، وخيبات الأمل والصدمات المتوالية التي تلقاها من شركائه في حلف الناتو، والإدارة الأميركية، من تخليهم عن تركيا في ثلاثة ملفات مهمة: إسقاط الطائرة الروسية، دعم الكرد السوريين في شمال سورية، الموقف المتردد، وربما الداعم، للانقلاب الذي كاد يطيح بحكم أردوغان وحزبه إلى غير رجعة، كل هذه الأمور مجتمعة اضطرت أردوغان للتمسك باليد الوحيدة التي قدمت له المساعدة، وهي يد الرئيس الروسي فلاديمير بوتين.

الآن ورغم أن الدخول التركي لسورية جاء وفق تفاهم مع محور حلفاء سورية، لنقض ما بنته بعض الفصائل الكردية من مناطق حكم ذاتي بشكل أساسي، فإنه اضطر أيضاً إلى التصادم مع بعض أذرعه الإسلامية الراديكالية التي عمل على تغذيتها وتقويتها خلال السنوات الخمس السابقة، وأهمها داعش، بعد طول معاشرة محرمة معها، وبعد عمليات عسكرية اتسمت في البدء بمسرحيات تسليم واستلام مناطق سيطرة، وتغيير ولاءات ورايات كثير من جحافل الجهاديين وبقايا «الثوار» السوريين.

يضطر أردوغان نفسه للمحافظة على دولته، لرفع الجدران حولها، والدخول في حروب ومغامرات حمقاء في الإقليم، وتستفحل حالته المرضية «بارانويا الأعداء المتربصين» به، من كرد وإسلاميين راديكاليين ومواطنين أتراك في دولة عميقة «موازية» من اتباع الداعية فتح الله غولن، اجتث منهم آلاف المعتقلين والمنفيين والمطرودين من أعمالهم من القضاة والمعلمين والإعلاميين والشرطة وغيرهم، تدفع به رياح السياسة بين الشرق والغرب، فيعلن ولاءه التام للمايسترو الأميركي ويجند نفسه مستعداً للقتال في جحافله على أي جبهة، فيأتيه الرد بمزيد من الدعم الأميركي للكرد السوريين عسكرياً ولوجستياً وبمشاركتهم بحروب الرقة الجارية.

بعد انهيار أحلامه في اجتياح العالم العربي بمشروع إسلامي إخواني، ها هو اليوم يتأرجح على أرض من التحولات المهولة التي تنبئ بزلازل وبراكين ستقتحم حصونه وجدران دولته الداخلية، وما زال أردوغان وحده يكابر ويقفز في الهواء بغير هدى، هروباً من واقعه المرير، والمخاطر التي تتهدد مصير تركيا في بنيتها البشرية والجغرافية والسياسية، فتركيا تخوض حالياً ثلاث حروب داخلية: معركة ضد الأكراد، ومعركة استعادة الأمن الوطني ضد أذرع الإرهاب، ومعركة السيطرة والتمكين ضد الدولة الغولانية الموازية، إضافة لحروبها الخارجية المعروفة في سورية والعراق، على حين يمارس أردوغان قفزاته غير المحسوبة إلى الأمام، بقصد استمزاج النيّات الجديدة للرئيس الأميركي دونالد ترامب في ملفات المنطقة، منتظراً تحولاً ما ضد الأكراد أو حرباً شاملة على التحالف السوري، غير ذلك سيظل متمسكاً باليد الروسية في المنطقة.

يجب قرع جرس إنذار مدوٍ من أن يرتكب أردوغان حماقة أخرى وقفزة هوائية مجنونة، وهي الدخول بجيشه إلى إدلب بحجة تحريرها من جبهة النصرة والجماعات التابعة لها، مستخدماً بعض بنود اتفاق «أستانة٣»:

– فمع وجود عدد لا يستهان به من مركوبي السلطان ومن التابعية العصملية ومن بداءات الإخوان من «السوريين».

– وبوجود سنوات من الدعم التركي اللوجستي «رواتب ومعونات» والعسكري للمسلحين والمتطرفين والإرهابيين والمرتزقة فيها.

– وبوجود هذا الإغراء المستمر الذي يقدمه التركي وأردوغان لكل جيوشه الانكشارية من أبناء جلدتنا المضللين، والعمل على تجنيدهم المستمر لمشروعه ومدغدغة عواطفها بخطاباته الجياشة.

– وبوجود احتمال حدوث مواجهات تمثيلية مع جبهة النصرة، مشابهة لما حدث من مواجهات «مسرحية» بين داعش و«درع الفرات»، ولأمور أخرى كثيرة، فإن السماح للدخول التركي إلى منطقة إدلب وريفها وريف حلب المجاور وتحت أي ذريعة! أو مسوغات وتوهمات، يعد خطيئة تاريخية إستراتيجية لا تغتفر، ويجب الوقوف بحزم وبقوة أمام تنفيذها، وهي ستصبح مناطق مغتصبة مشابهة لإقليم إسكندرون أو جنوب لبنان أو فلسطين المحتلة، وهي لن تحرر إلا بحروب تحرير وطنية، وهي ستكلف السوريين الجهد المضني والكثير من الدماء لاستخلاصها من القبضة العصملية لسلطان البارنويا ومرتزقته.

يعد الدخول التركي لإدلب وجوارها، إن حدث، وهو ليس مستبعداً، أخطر منحى تمر به الحرب على سورية منذ نشوبها، ويجب التنبه له والوقوف ضده على طول الخط وتجريم كل من يسمح به أو يوافق عليه.

يسلك إردوغان طرق أسلافه العثمانيين في نحر واستبعاد كل من يقاسمه الحكم أو قد يطالب بكرسي السلطنة، ولو كان من عظام رقبته أو من شركاء دربه، فتخلى عنهم واحداً واحداً، فلم ينفع النضال الطويل المشترك الذي خاضه مع شريكه في حزب العدالة والتنمية الرئيس التركي السابق عبد الله غول ولا التاريخ الطويل للتآزر والدعم الذي قدمه فتح الله غولن لمشروع عثمنة تركيا، لقد انقلب على تفاهماته مع الجميع، ويبدو الآن كمن يرقص على حبال واهية، فهل ستصدق نبوءة رئيس الوزراء التركي السابق نجم الدين أربكان فيه أن احذروا هذا الصهيوني؟

بعد أن طويت الصفحات الكثيرة من أشعار الفرسان والعثمانيين الجدد في ملحمة سانشو رئيس الوزراء الأسبق التركي أحمد داوود أوغلو المتمثلة بـ«العمق الإستراتيجي»، وتبخرت مفاعيلها المتخيلة في بلدان الربيع العربي، لم يتبق لدونكيشوت الذي خاض نزواته وحروبه مع طواحين العروبة ودول الجوار وحلف الناتو وإيران وروسيا، إضافة إلى حروبه على شعبه المستقطب، إلا أن ينكفئ وحيداً في قصره خلف جدران عالية حول ملكه المتهالك، وأن يراجع متحسرا أيامه الخالية، ولا بأس أن تصيبه نوبات التوحد والتوحش والشك المرضي، فيمارس هوايته في القضاء على من تبقى في جوار قصره الكبير متوجساً من مجاهد متحمس من أنصاره يرى تناقضاته الكثيرة فيقطف رأسه مردداً: الله أكبر، ويقدمه هدية للجماهير الثائرة.